

تفسير السعدي

إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ
النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَيَّنَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ
عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ ^ج كَذَلِكَ نُفَصِّلُ
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

وهذا المثل من أحسن الأمثلة، وهو مطابق لحالة الدنيا، فإن لذاتها وشهواتها وجاهها ونحو ذلك يزهو لصاحبه إن زها وقتاً قصيراً، فإذا استكمل وتم اضمحل، وزال عن صاحبه، أو زال صاحبه عنه، فأصبح صفر اليدين منها، ممتلئ القلب من همها وحزنها وحسرتها. أفذلك
﴿كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ أي: نبت فيها من كل صنف، وزوج بهيج ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾ كالحبوب والثمار ﴿وَالْأَنْعَامُ﴾ كما تأكل ﴿الْأَنْعَامُ﴾ كأنواع العشب،
والكلأ المختلف الأصناف. ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَيَّنَّتْ﴾ أي: تزخرت في منظرها، واكتست في زينتها، فصارت بهجة للناظرين، ونزهة للمتفرجين، وآية للمتبصرين،
فصرت ترى لها منظرًا عجيبيًا ما بين أخضر، وأصفر، وأبيض وغيره. ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ﴾

قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَيُّهَا حَصَلَ مَعَهُمْ طَمَعٌ، بِأَنَّ ذَلِكَ سَيَسْتَمِرُّ وَيَدُومُ، لَوْ قُوفَ إِرَادَتِهِمْ عِنْدَهُ،
وَأَنْتَهَاءَ مَطَالِبِهِمْ فِيهَا نَفِينَمَا هُمْ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ أَيُّهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا
كَأَنَّ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ أَيُّهَا كَأَنَّهَا مَا كَانَتْ فَهَذِهِ حَالَةُ الدُّنْيَا، سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ أَيُّهَا كَذَلِكَ نُفَصِّلُ
الْآيَاتِ أَيُّهَا نَبِينَهَا وَنَوْضِحَهَا، بِتَقْرِيْبِ الْمَعَانِي إِلَى الْأَذْهَانِ، وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ الْقَوْمِ
يَتَفَكَّرُونَ أَيُّهَا يَعْمَلُونَ أَفْكَارَهُمْ فِيمَا يَنْفَعُهُمَا أَوْ مَا الْغَافِلُ الْمَعْرُضُ، فَهَذَا لَا تَنْفَعُهُ الْآيَاتُ،
وَلَا يَزِيلُ عَنْهُ الشُّكَّ الْبَيَانُ.